



٣٥

لكتبي

لا تلقني في النهر

وقصص أخرى

تأليف : فريد محمد معوض

رسوم : أحمد عبد النعيم



تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة: ج.م.ع.

إعداد الماكيت: أماني والى

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَمَرَ الْأَبُ ابْنَهُ بِالخُرُوجِ مَعَ
الْعَمَالِ لِلْعَمَلِ مَعَهُمْ فِي الْحَقُولِ، وَكَانَ الْأَبُ مِنْ
أَغْنِيَاءِ الْبَلَدِ، وَلِذَلِكَ شَعَرَ الْإِبْنُ بِالِدَهْشَةِ وَلَمْ
يُصَدِّقْ أَنَّ أَبَاهُ يَرِيدُ ذَلِكَ فَعَلًا، وَسَأَلَ فِي حَيْرَةٍ:

- هَلْ أَعْمَلُ أَجِيرًا يَا أَبِي؟!

وَأَجَابَ الْأَبُ فِي حَزَمٍ:

- نَعَمْ تَعْمَلُ أَجِيرًا.

وَلَمَّا عَلِمَتْ أُمُّهُ بِالْأَمْرِ حَزَنْتْ مِنْ أَجْلِ وَلَدِهَا،
وَتَسَاءَلَتْ لِمَاذَا يَفْعَلُ زَوْجُهَا ذَلِكَ مَعَ ابْنِهِ وَهُوَ
أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَهُوَ التَّاجِرُ الْغَنِيُّ، وَحَاوَلَتْ أَنْ
تَصْنَعَ شَيْئًا لِإِنْقَازِ وَلَدِهَا، لَكِنَّ التَّاجِرَ الْغَنِيَّ كَانَ
جَادًا وَحَاسِمًا.. قَالَ:

- الْعَمَلُ.. وَلَا شَيْءَ غَيْرِ الْعَمَلِ.. النَّحْلُ
يَعْمَلُ، وَالنَّمْلُ يَعْمَلُ، وَعَلَى الْوَلَدِ أَنْ يَنَامَ مُبَكِّرًا
حَتَّى يَسْتَيْقِظَ مُبَكِّرًا لِلْعَمَلِ.

أَلْقَى التَّاجِرُ الْغَنِيُّ أَوَامِرَهُ وَذَهَبَ مُسْرِعًا إِلَى
غُرْفَتِهِ لِيَخْفِيَ حَقِيقَةَ مَشَاعِرِهِ، فَهُوَ يَجِبُ ابْنَهُ، وَلَا
يَجِبُ أَنْ يَقْسُو عَلَيْهِ، لَكِنَّ قَسْوَتَهُ تَطَاقُ، أَمَّا
قَسْوَةُ الْأَيَّامِ فَشَدِيدَةُ الْإِيلَامِ، صَحِيحٌ عِنْدِي أَمْوَالُ

وفيرة، لكن دَوَامَ الحالِ مِنَ المَحَال، قد يضيعَ
المال، ولو اعتمدَ الولدُ على مَالِي لنشأَ مدّلاً،
وإذا ضاعَ المالُ فسوفَ يضيعُ الولدُ، لذلك لا بدَّ
أنْ يعتمدَ على نفسه، ولا بدَّ أنْ يتعودَ على احترامِ
العمل، ويتعامل مع الناسِ عن قرب.

أشرقَ الصبحُ على الحقول، وظهرت الخُصرةُ
يائعة، وواصلَ الماءُ جريانه في النهر، وزقزقت
العصافيرُ معلنةً ميلادَ يومٍ جديد، لكن الولدَ كانَ
عابساً خائفاً، سوفَ يعملُ بيديه، وهذا شيءٌ
جديد لم يعتده، ولم يتصورَ أنْ يفعلَ به أبوه
ذلك، وذهبَ إلى حيثُ تجمعَ العمّال، وتقدّمَ إلى
رئيسهم فوجده يمسك عصاً طويلة ويصيحُ فيهم
بقسوة.

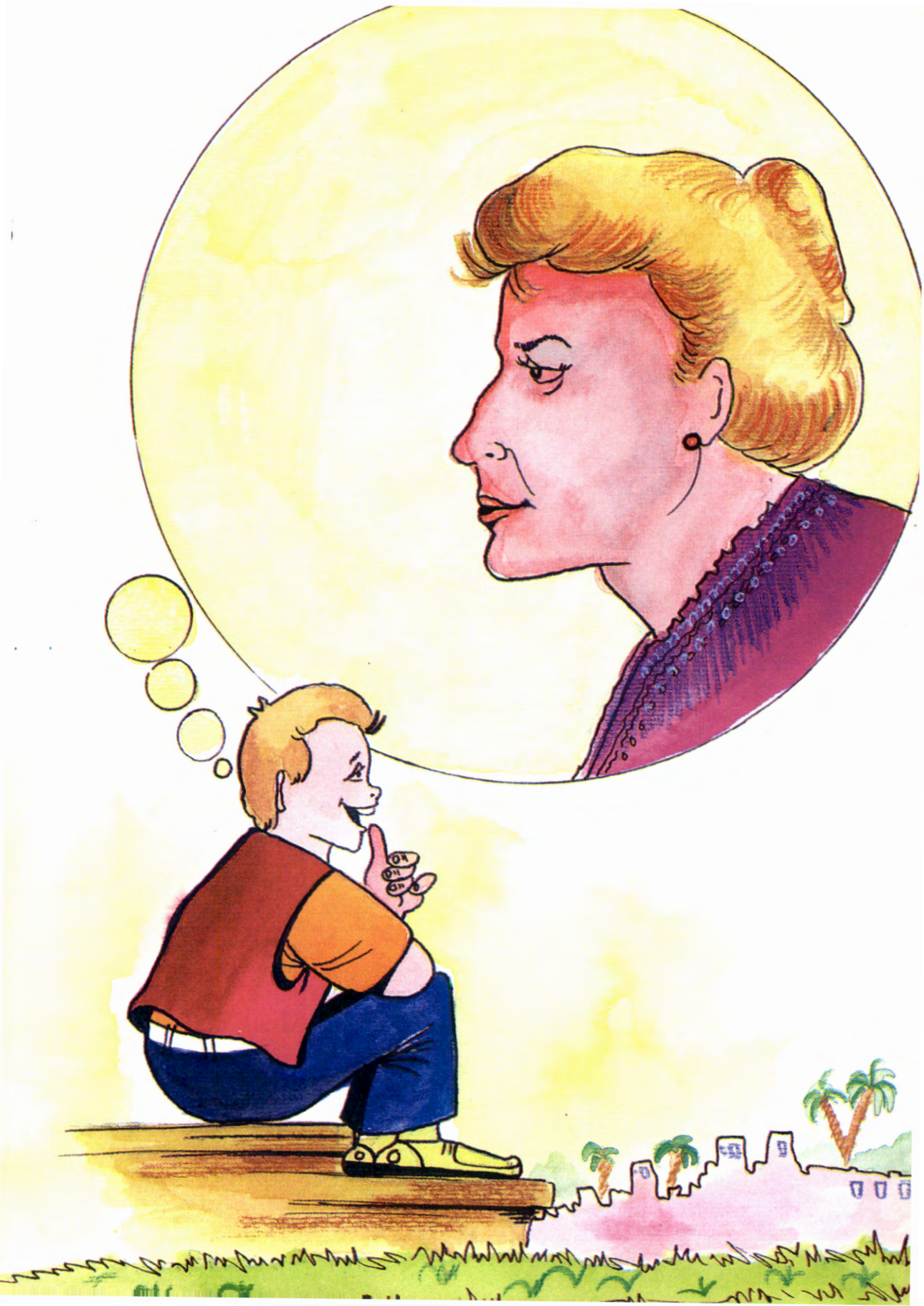
هل يستطيعُ أنْ يفعلَ مثل هؤلاءِ العمّال،
يحنى ظهره، ويمسك بفأسٍ ينتقى الحشائشَ
الضّارة، ويسوي التربة، وتشتد حرارة الشمسِ
بعدَ قليل «لا.. لا أستطيعُ أنْ أفعلَ ذلك.. وأبى
أمرنى ألاّ أعلنَ لأحدٍ أنني ابنُ تاجرٍ غني، فقط
أقولُ إنني شابٌ يرغبُ في العمل.. لا.. لن
أذهبَ إليهم.. لكن كيفَ أعودُ لأبي الآن، قد

يَعَاقِبْنِي لِأَنْتَنِي لَمْ أَطْعُ أَمْرَهُ، عَلَى أَنْ أَقْضِيَ الْيَوْمَ
فِي اللَّعْبِ بَيْنَ هَذِهِ الْمَرْجُوحِ الْخَضِرَاءِ، ثُمَّ أَعُودُ مَعَ
الْغُرُوبِ.. بَقِيتُ مَشْكَلَةً.. مَاذَا أَقُولُ لِأَبِي لَوْ
سَأَلَنِي عَنْ أَجْرِ الْيَوْمِ .

فَكَرَّ الْوَلَدُ وَفَكَرَ، ثُمَّ صَاحَ فِي مَرَحٍ:
- وَجَدْتَهَا.. إِنَّهَا أُمِّي تِلْكَ الطَّيْبَةُ.. سَوْفَ أَخْذُ
مِنْهَا الْأَجْرَ الَّذِي يَحْصُلُ عَلَيْهِ الْعَامِلُ فِي الْحَقْلِ.
وَمَعَ الْغُرُوبِ بَدَأَتْ الْعَصَافِيرُ تَنْتَجِبُهُ إِلَى
أَعْشَاشِهَا، وَعَادَ الْفَلَاحُونَ مِنَ الْحَقُولِ، وَحِينَئِذٍ
أَسْرَعَ الْوَلَدُ إِلَى أُمِّهِ الَّتِي ضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا،
وَحَكَّى لَهَا عَنْ رَحْلَتِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعْمَلَ،
وَبَكَى، رَقَّ قَلْبُ الْأُمِّ وَأَعْطَتْهُ أَجْرَ الْيَوْمِ وَهِيَ غَيْرُ
رَاضِيَةٍ عَمَّا فَعَلَتْ.

اسْتَقْبَلَ التَّاجِرُ الْغَنِيَّ وَلَدَهُ اسْتِقْبَالًا حَافِلًا بِالْوَدِّ،
وَطَلَبَ أَنْ يُعْدُوا لَهُ طَعَامَ الْعِشَاءِ، وَمَا أَنْ انْتَهَى
الْوَلَدُ مِنْ تَنَاوُلِ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى أَخَذَهُ الْأَبُ إِلَى
الشَّرْفَةِ الَّتِي تَطُلُ عَلَى النَّهْرِ وَقَالَ لَوْلَدِهِ:
أَيْنَ أَجْرُ الْيَوْمِ؟

أَعْطَاهُ الْوَلَدُ مَا أَخَذَهُ مِنْ أُمِّهِ، فَأَخَذَ التَّاجِرُ أَجْرَ
الْيَوْمِ وَطَوَّحَهُ فِي النَّهْرِ، تَعَجَّبَ الْوَلَدُ مِنْ فِعْلِ
أَبِيهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُعْلِقْ، الْمَهْمُ أَنْ أَبَاهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهُ.



ومرّت أيامٌ وأيامٌ، والولدُ يخرجُ كلَّ يومٍ بحجةِ العملِ، لكنّه ينطلقُ هنا وهناك، ثم يعودُ مع الغروبِ ويأخذُ من أمّه أجرَ اليومِ، وينادى أبوه الخدم:

- من أطيبِ الطعامِ أطعموه.. ومن أعذبِ الشرابِ اسقوه، ولدى تعبٍ طوالَ النهارِ.

ثم يأخذُ ولده إلى الشرفة ويقول له:

- أين أجرُ اليومِ؟

ويعطيه الولدُ ما أخذه من أمّه، فيأخذ التاجرُ أجرَ اليومِ ويلقيه في النهرِ، ويتعجبُ الولدُ من فعل أبيه، لكنّه لا يعلّق، المهمُّ أن أباه قد رضى عنه.

وفي يومٍ من الأيامِ قالت الأمُّ لولدها:

- اسمعْ يا ولدى.. لن أستمّرَ معك في الكذب.. عليك أنت تتدبّرَ أمرك.. لن أعطيك بعد اليومِ أجرًا.

وبكى الولدُ، لقد أغلقت أمه بابَ الحيلةِ في وجهه، ماذا يفعل الآن؟ وعندما أوى إلى فراشه كان يفكر، ليس هناك حلٌّ آخر سوى الخروج إلى العملِ، وعلى الفور تذكر الفتية في الأرض

والرجل يقف خلفهم ممسكاً بعصاً طويلة، لكن
لا فائدة، سوف أذهب في الغد، وسوف أواجه
المصير.

وعندما جاء الصبح سار الولد في طريقه إلى
الحقل، كان الندى قد غسل أوراق الشجر، والماء
ما يزال يجري في الأنهار الصغيرة، والعصافير
تستقبل الصباح بفرح، والإفراشات تعانق سيقان
الأشجار، قال الولد في نفسه:

- فرحانة أنت أيتها العصافير وأنا أواجه هذا
المصير! ومرّ فوق رأسه سرب حمام أبيض،
وسمع صوت يمامة قادمة من بعيد: كُكم كُكم..
وحدّوا ربّكم. وأصوات الفتية وهم ينشدون:

يا صُبْحنا البادي

يا زرعنا النّادي

ما أجمل العمل

ما أقبح الكسل

تقدم الولد، وانضمّ إلى الفتية، وراح ينظر
إليهم، ويفعل مثلهم ويتّسم، ورويداً رويداً بدأ
يتحدّث مع من يجاوره، ثمّ راح ينشد مثلهم:

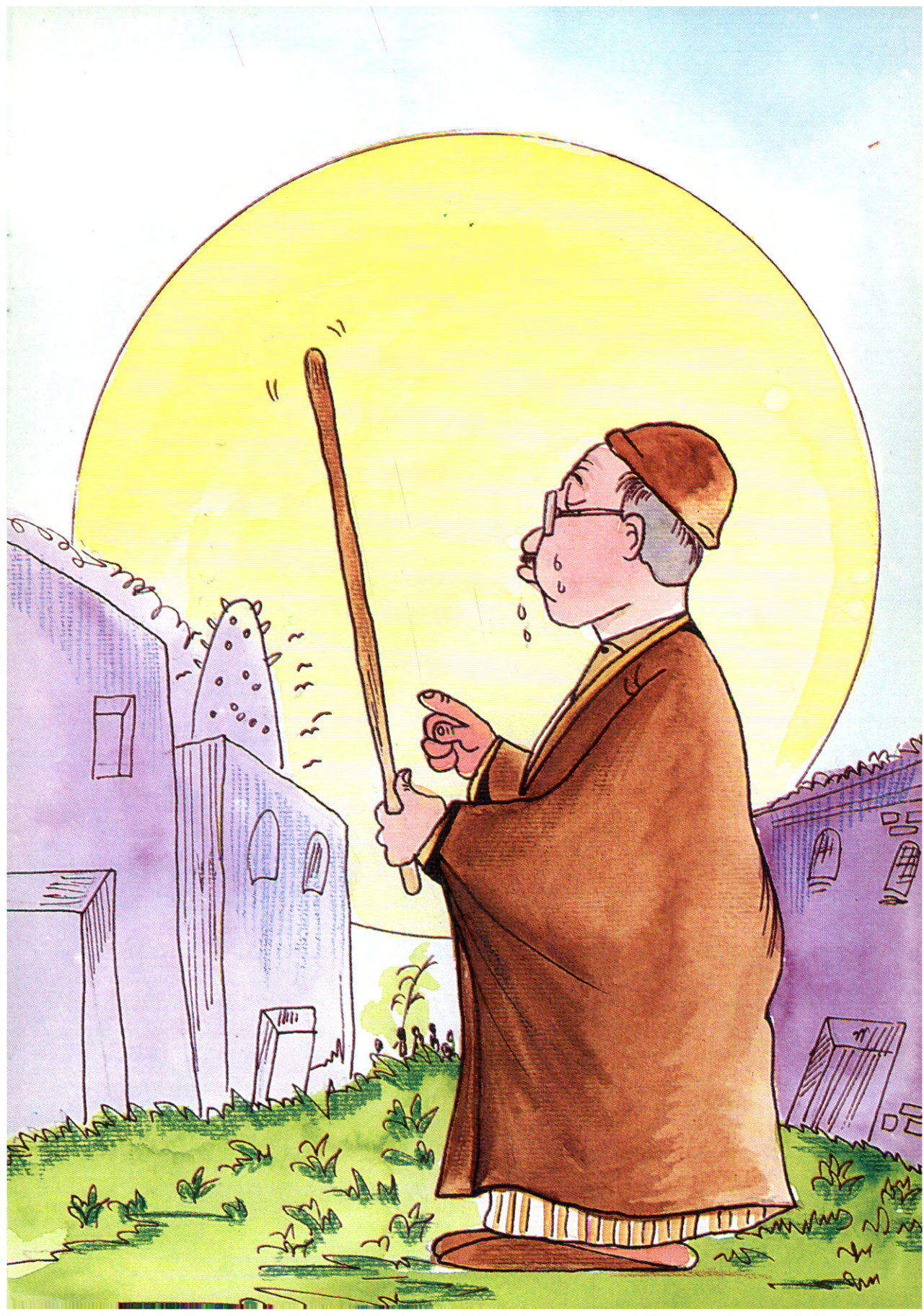
يا صَبْحَنَا الْبَادِي

يا زَرْعَنَا النَّادِي

سَرَى لَحْنُ الْأَغْنِيَةِ فِي عُرُوقِهِ فَأَحْبَبَهَا، وَاکْتَشَفَ
أَنَّ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةَ طَيِّبُونَ، وَأَنَّ عَصَا الرَّجُلِ تَتَحَرَّكُ
فَقَطْ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا تُؤَخَّرُ إِلَّا مَنْ خَرَجَ عَنِ الصِّفِّ
وَالنِّظَامِ، وَرَاحَ يَتَأَمَّلُ مِلَامِحَ الرَّجُلِ، كَانَتْ الطَّيِّبَةُ
تَتَدَفَّقُ مِنْ وَجْهِهِ، وَكَانَتْ التَّجَاعِيدُ الْغَائِرَةُ فِي
وَجْهِهِ يَنْسَالُ فِيهَا الْعِرْقُ وَكَأَنَّهَا أَنْهَارٌ صَغِيرَةٌ
امْتَدَّتْ فَوْقَ أَرْضٍ طَيِّبَةٍ، وَكَانَتْ الْوَلَدُ عَالِمًا
جَدِيدًا لَمْ يَرَهُ مِنْ قَبْلُ، وَعِنْدَمَا اشْتَدَّتْ حَرَارَةُ
الشَّمْسِ قَالَ لِنَفْسِهِ:

- لَا بَدَّ أَنْ أَتَحَمَّلَ.. سَوْفَ أَتَحَمَّلُكَ يَا أَشْعَةَ
الشَّمْسِ.. يَا طَيِّبَةَ.. أُرِيدُ أَنْ أَصْبَحَ رَجُلًا.

وَحِينَ جَاءَ الْغُرُوبُ وَجَدَهُ أَكْثَرَ رَوْعَةً، صَحِيحٌ
أَنَّهُ عَادَ مُتَعَبًا، لَكِنَّهُ كَانَ قَابِضًا عَلَى أَجْرِهِ الَّذِي
أَخَذَهُ مِنَ الرَّجُلِ، وَكَأَنَّهُ يَخْشَى أَنْ يَقَعَ مِنْهُ فِي أَى
لَحْظَةٍ، الْآنَ هُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْقَصْرِ، يَشْعُرُ
بَحْنِينَ جَارِفٍ إِلَيْهِ، لِكُلِّ شَيْءٍ فِيهِ، يَرَى الْقَصْرَ
مِنْ بَعِيدٍ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَرَاهُ وَهُوَ دَاخِلَهُ،
التَّفَاصِيلُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي أَهْمَلَتْهَا عَيْنَاهُ شَعَرَ



بقيمتها الآن، المقاعد والأرائك والصور والتحف
والكتب المتراسة في إحدى الزوايا، والشرفة
التي من خلالها ترى صفحة النهر الجميل، ما
أجمله من قصر، وما أروعَه من نهر، وما أجمل
الحياة خارج القصر حيث يمتد النهر إلى سهل لم
يكن يعرفها، الآن عرف أشياء كثيرة، شعر
بسعادة كبيرة وهو يقترب من القصر، وانسابت
من بين شفثيه المجهدين أغنية عذبة لن ينساها:

يا صَبَحْنَا الْبَادِي

يا زَرْعَنَا النَّادِي

مَا أَجْمَلَ الْعَمَلِ

مَا أَقْبَحَ الْكَسَلِ

في القصر وجد أمه وقد تهلل وجهها فرحاً،
لقد شعرت بالصدق من ملامحه، ومن بريق العمل
في عينيه، ومن سمة تركتها الشمس على وجهه
الصغير، واستقبله أبوه كعادته فرحاً:

- أيها الخدم.. من أطيب الطعام أطمعوه..
ومن أعذب الشراب اسقوه.. ولدي تعب طوال
النهار.

وَمَا أَنْ اِنْتَهَى الْوَلَدُ مِنْ تَنَاوُلِ طَعَامِهِ حَتَّى
أَخَذَهُ أَبُوهُ إِلَى الشَّرْفَةِ وَسَأَلَهُ :

- أَيْنَ أَجْرَ الْيَوْمِ؟

أَعْطَاهُ الْوَلَدُ الْأَجْرَ.. وَأَمْسَكَ التَّاجِرُ الْأَجْرَ فِي
يَدِهِ، وَهَمَّ أَنْ يَطْوَحَهُ بِذِرَاعِهِ فِي النَّهْرِ، وَلَكِنْ
الْوَلَدُ أَمْسَكَ ذِرَاعَ أَبِيهِ مَتَوَسِّلًا:

- لَا يَا أَبَى أَرْجُوكَ.. إِلَّا هَذِهِ الْقُرُوشُ.. لَمْ
يَكُنِ الْحَصُولُ عَلَيْهَا سَهْلًا!

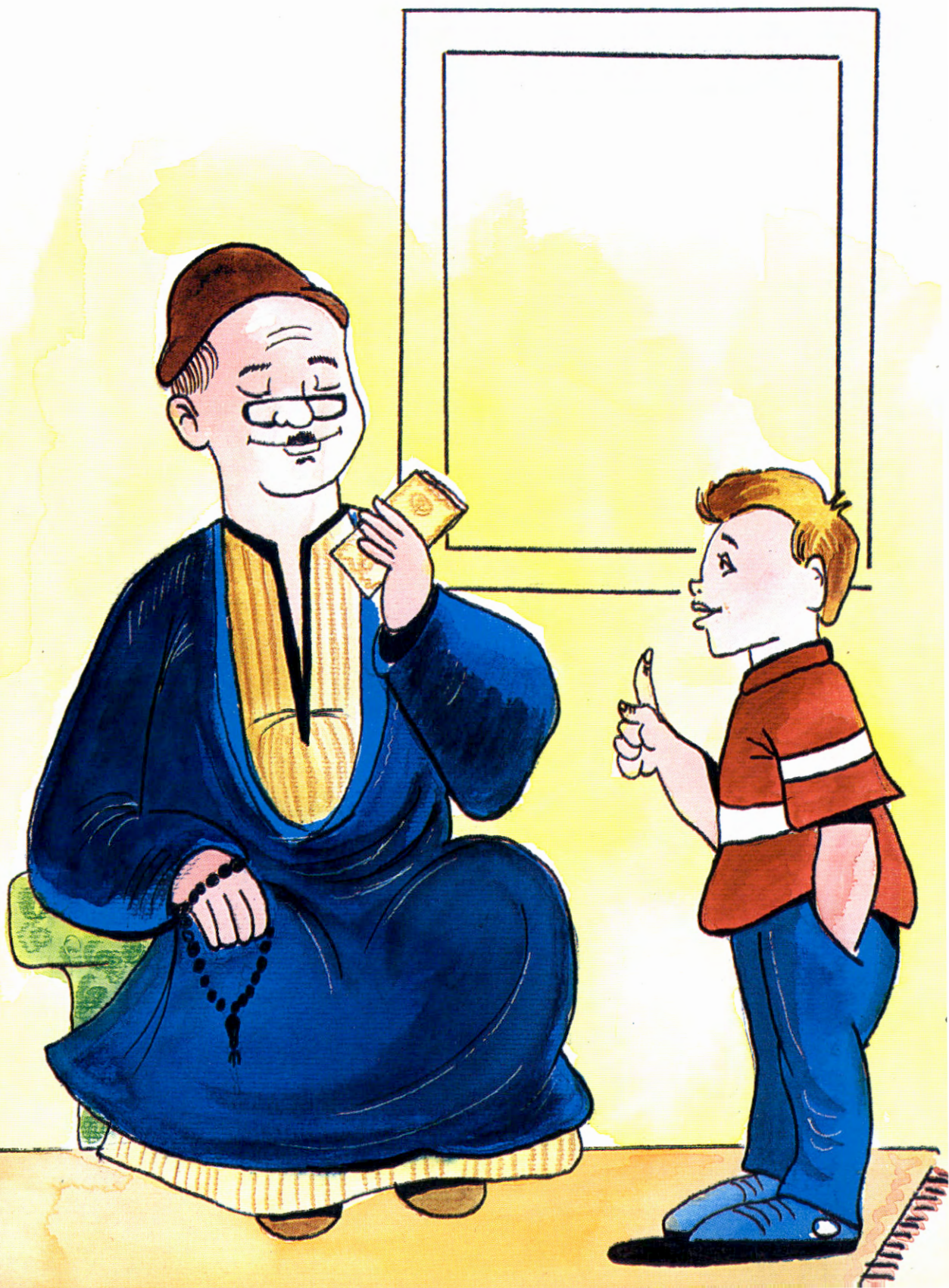
أَشْرَقَ وَجْهُ التَّاجِرِ فَرَحًا وَأَعَادَ النُّقُودَ إِلَى وَلَدِهِ
وَقَالَ:

- الْآنَ عَرَفْتَ أَنَّكَ عَمَلْتَ حَقًّا.

عَرَفَ التَّاجِرُ أَنَّ هَذَا مِيلَادَ ابْنِهِ كَرَجُلٍ، أَمَّا قَبْلَ
ذَلِكَ فَلَا، لَقَدْ عَرَفَ وَلَدَهُ الدُّنْيَا وَالنَّاسَ خَارِجَ
الْقَصْرِ، وَسَيَجْنِي ثَمَارَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ عِنْدَمَا يَعْمَلُ
مَعَ أَبِيهِ فِي التَّجَارَةِ، بَلْ هُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يَعْمَلَ وَحْدَهُ
فِي الْمُسْتَقْبَلِ دُونَ مُسَاعَدَةِ، حِينَئِذٍ قَالَ التَّاجِرُ
مُشْفِقًا عَلَى وَلَدِهِ:

- بَوُسْعُكَ أَنْ تَسْتَرِيحَ غَدًا مِنَ الْعَمَلِ.

لَكِنَّ الْوَلَدَ قَالَ وَالْإِصْرَارَ يَشَعُّ مِنْ عَيْنَيْهِ:



- لَا يَا أَبِى.. مَا أَجْمَلُ أَنْ يَطْلُعَ الصَّبْحُ عَلَى
فِي الْحَقُولِ - وَمَا أَرْوَعَ أَنْ أَسْتَيْقِظَ مَعَ
الْعَصَافِيرِ.. وَمَا أَجْمَلُ أَنْ أُنْشِدَ مَعَ الْفَتِيَّةِ.. لَقَدْ
عَرَفْتُ طَرِيقِي، وَأَدْرَكْتُ قِيَمَةَ الْعَمَلِ، وَفَهَّمْتُ
مَعْنَى أَنَّ الْعَمَلَ شَرَفٌ، وَلَا مَعْنَى لِلْحَيَاةِ بَدُونِ
عَمَلٍ.

اسْتَدَّ التَّاجِرُ إِلَى الشُّرْفَةِ، وَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ،
وَتَتَهَدَّ مُسْتَرْجِحًا وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ.



نَعْسَانٌ وَحِمَارُهُ

- ١ -

اسْمُهُ «سَعْفَان» وَالنَّاسُ يَنَادُونَهُ «نَعْسَان» لِأَنَّهُ
يَبْدُو نَعْسَانًا وَهُوَ رَاكِبٌ فَوْقَ الْحِمَارِ. وَفِي طَرِيقِهِ
لِلقَرْيَةِ قَالَ نَعْسَانٌ وَهُوَ مَغْمُضُ الْعَيْنَيْنِ:
- حَا يَا حِمَار.

وَمَضَى الْحِمَارُ.. وَوَأَصَلَ «نَعْسَان» نَوْمَهُ مِنْ
جَدِيدٍ، كَانَ قَلْبُهُ يَمْتَلِئُ بِالرَّضَا، لَقَدْ قَامَ الْيَوْمَ بِرَى
الْأَرْضَ، وَتَهْدِيبَ فُرُوعِ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، لَقَدْ تَعَبَ
حَقًّا، دَائِمًا يَتَذَكَّرُ نَعْسَانٌ نَصِيحَةَ أَبِيهِ:

- أَرْضُكَ هِيَ عَرْضُكَ يَا نَعْسَانُ.. اسْبِقْ جِيرَانَكَ..
وَاسْقِ نَبَاتَكَ.. وَابْذُرْ أَرْضَكَ حَبًّا وَحَبًّا.

- سَمْعًا وَطَاعَةً يَا أَبِى.

يُضْحِكُ أَبُوهُ:

- سَمْعًا وَطَاعَةً؟ يَا لَهَا مِنْ كَلِمَةٍ جَمِيلَةٍ.

عَادَتِ خُطَوَاتُ الْحِمَارِ تَقِيلُ، قَالَ نَعْسَانَ وَهُوَ
مَغْمُضُ الْعَيْنَيْنِ:

- حَا يَا حِمَار.

وَيَبْدُو أَنَّ الْحِمَارَ قَدْ اغْتَاظَ كَثِيرًا فَبَدَلًا مِنْ أَنْ
يَرْفَعَ رَأْسَهُ إِلَى أَعْلَى طَاطَأَ رَأْسَهُ فَجَاءَ إِلَى أَسْفَلِ،
وَكَانَ نَعْسَانَ قَرِيبًا مِنْ رَقَبَةِ الْحِمَارِ، تَزْحَلُّقُ نَعْسَانَ
عَلَى رَقَبَةِ الْحِمَارِ حَتَّى وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ الْحِمَارُ
يَنْهَقُ، وَرَاحَ يَجْرِي فِي اتِّجَاهِ الْقَرْيَةِ، وَتَبِعَهُ نَعْسَانَ.

- ٢ -

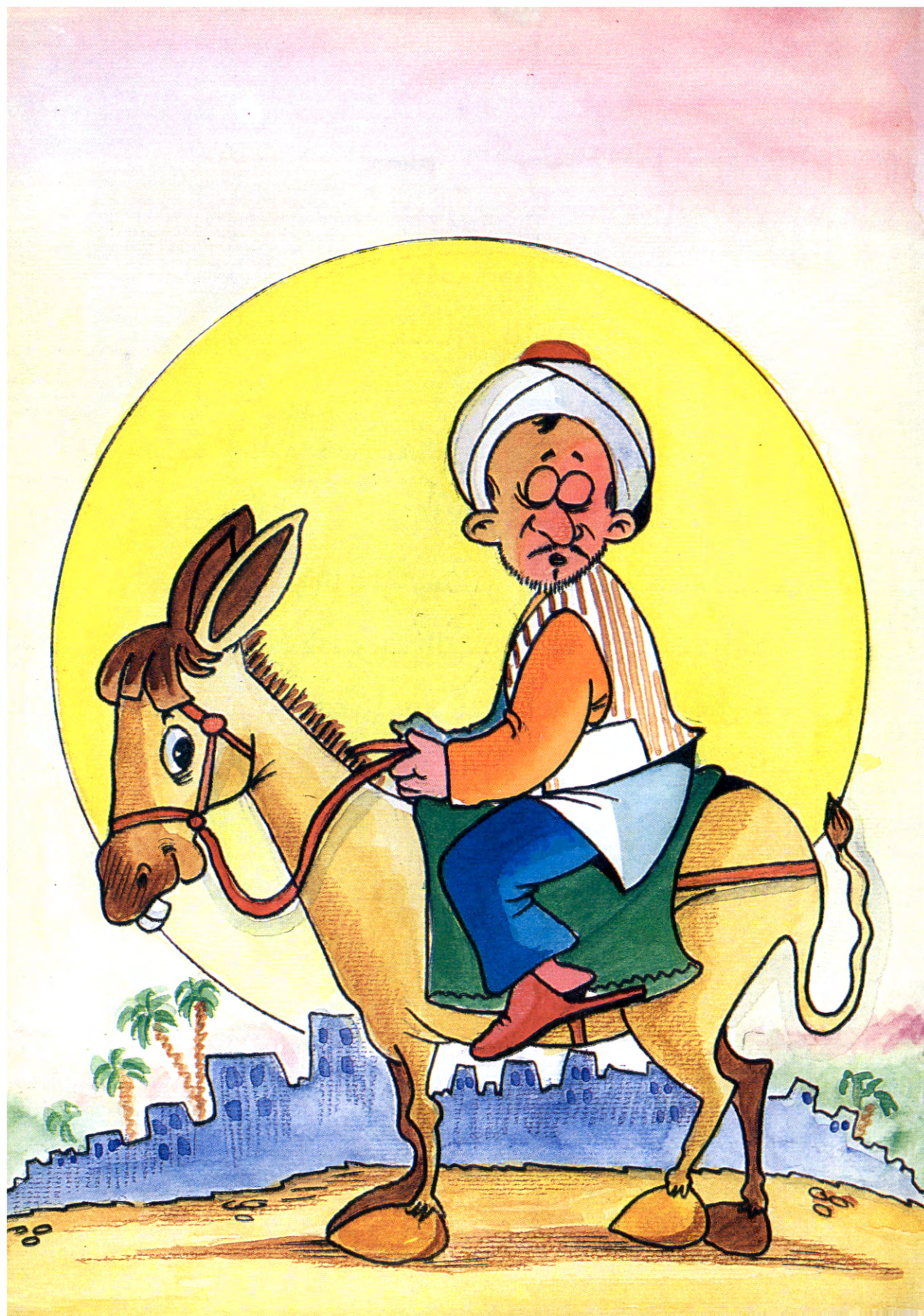
نُورٌ فَضِيٌّ يَغْمُرُ الْفَضَاءَ، وَالنَّدَى يَبِلُّ الْأُورَاقَ،
وَنَعْسَانَ فَوْقَ ظَهْرِ الْحِمَارِ، يَجِبُّ سَاعَةَ الشَّرُوقِ،
هَكَذَا قَالَ لَهُ أَبُوهُ:

- الْبَرَكَةُ فِي الْبُكُورِ يَا نَعْسَانَ.

وَكَانَ نَعْسَانَ يَقُولُ لِأَبِيهِ: النَّوْمُ جَمِيلٌ يَا أَبِى.

فَيَقُولُ أَبُوهُ: وَالْعَمَلُ أَجْمَلُ يَا نَعْسَانَ.

نَفَذَ نَعْسَانَ وَصِيَّةَ أَبِيهِ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ:



- استيقظ مبكراً.. وأكمل نومي فوق ظهر
الحمار، وما دام الحمار يحفظ سبك الحقول فلا
ضرر من أن أكمل نومي في الطريق.

والحقيقة أن «نعسان» النائم دوماً فوق ظهر
الحمار ما إن يضع قدميه في أرضه حتى يفتح
عينيه وقلبه كما تتفتح الزهور الجميلة.

الصباح رائع جميل، وسبك الحقول لم يأتها
أحد للآن، والحمار يسير هادئاً وسط الحقول
والخضرة وقطرات الندى، لكن الحمارة أحس
بالعطش، فقد قدم له نعسان بالليل فولا
كثيراً.. ووجد الحمارة أن التزعة بجانبه، والماء
يتدفق فيها عذبا سهلاً، فأخذ يمضي على أمل أن
يجد مكاناً مناسباً فينحدر ويشرب، قال نعسان
فجأة :

- حيا حمارة.

اغتاظ الحمارة وحاول أن ينظر للوراء بجانب
عينيه حيث «نعسان»..

يَوَدُّ لَوْ يَعْتَبَهُ وَيَقُولُ لَهُ :

- صرْتُ سَرِيرًا لَكَ تَتَامُ عَلَيْهِ وَتَسْتَرِيحُ،
وَتَشْتَمُنِي وَتَصِيحُ.. أَيْلِقُ هَذَا الصِّيَاحُ فِي
الصَّبَاحِ الْجَمِيلِ.. كَفَى.. كَفَى يَا نَعْسَانَ.

لَكِنْ «نَعْسَانَ» لَمْ يَهْتَمُّ وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ ثَانِيَةً
وَاقْتَرَبَ حَتَّى صَارَ فَوْقَ رَقَبَةِ الْحِمَارِ، كَانَ كُلُّ
شَيْءٍ يَبْدُو رَائِعًا قَبْلَ أَنْ يَلْمَحَ الْحِمَارَ مَكَانًا مَنَاسِبًا
يَنْحَدِرُ فِيهِ وَيَشْرَبُ مِنَ التَّرْعَةِ، وَلَمْ يَسْتَيْقِظْ
نَعْسَانَ إِلَّا وَهُوَ فِي قَلْبِ الْمَاءِ، أَخَذَ الْحِمَارُ يَنْهَقُ
فَرَحًا، وَأَخَذَ نَعْسَانَ يَشْتُمُ حِمَارَهُ مِنْ جَدِيدٍ، وَلَمْ
يَكْفِ عَنِ السَّبَابِ إِلَّا عِنْدَمَا اكْتَشَفَ أَنَّ التَّرْعَةَ
امْتَلَأَتْ بِالْمَاءِ فَقَالَ لِنَفْسِهِ مَسْرُورًا: سَوْفَ نَسْقِي
الْأَرْضَ. وَمَشَى نَعْسَانَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَهُوَ يَنْظُرُ
بَعِيدًا نَحْوَ الْحِمَارِ الَّذِي سَبَقَهُ إِلَى الْحَقْلِ وَقَالَ
مُبْتَسِمًا: صَحِيحُ حِمَارٍ.

- ٣ -

نَعْسَانَ يَبْدُو نَشِيطًا، يَمْسِكُ فَأْسَهُ وَيَعْرِقُ
الْأَرْضَ، عَيْنَاهُ مَفْتُوحَتَانِ، سَعِيدٌ بِمَنْظَرِ الْخَضِرَةِ

والجمال، الحمار نائم على غير العادة، نظر
نعسان لمنظر الحمار، وقال له:

- أنا النعسان وليس أنت أيها الحمار؟
هز الحمار رأسه، وفهم نعسان أن الحمار يقول
له:

- ما دمت قد انتهيت من حملك وحمل أثقالك
فلا بأس أن أستريح.

وقال نعسان: حقاً.. أنا الآخر أستريح وأنام
بعدما أنجز أعمالي.. اسمع يا حمار..

هز الحمار رأسه في مكانه - علامة الضيق -
قال نعسان:

- لا تغضب.. لا أقصد أن أسبك فأنت فعلاً
حمار.. سوف أسمعك أغنية جميلة تجعلني نشيطاً
في عملي وتجعل نومى عزيزاً لذيذاً.

هز الحمار رأسه برفق كأنه يجثه على الغناء،
انطلق صوت نعسان جميلاً قوياً.

يا أَرْضِي يا أُمَّ الْجَمَالِ

يا زَادِي وزَادِ الْعِيَالِ

يا حِلْوَةً .. يا غِنَوَةً .. يا مَوَالَ

دَفَعَ الْحَمَارُ رَجْلَيْهِ الْأَمَامِيَّتَيْنِ لِلْأَمَامِ وَالْخَلْفِيَّتَيْنِ
لِلْخَلْفِ وَفَتَحَ فَمَهُ وَاسِعًا، عَلَامَةَ السَّعَادَةِ.

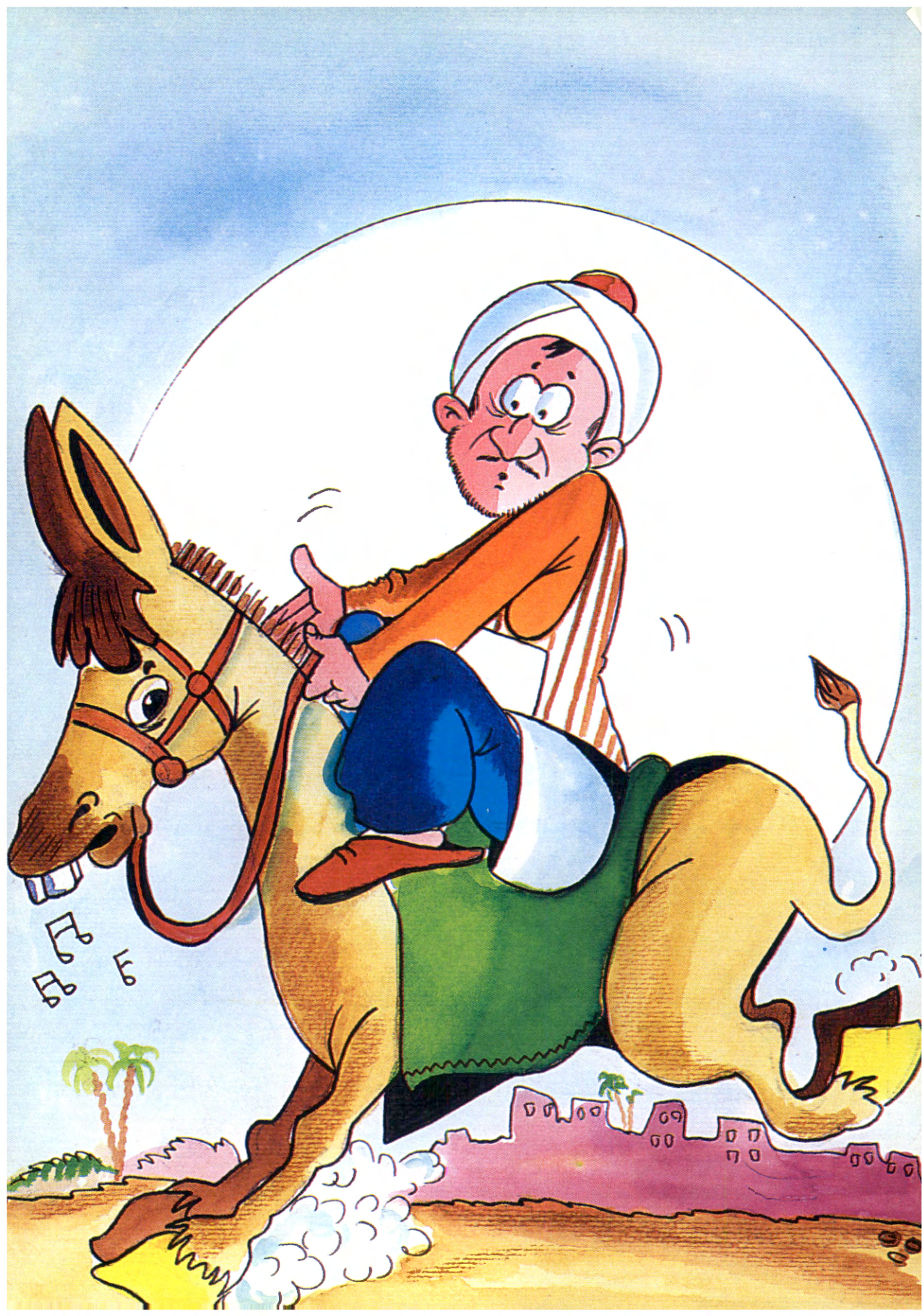
قَالَ نَعْسَانُ: هَلْ سَمِعْتَ صَوْتِي أَيُّهَا الْحَمَارُ؟
أَلَيْسَ جَمِيلًا؟! أَمَّا صَوْتُكَ أَنْتَ..

وَلَمْ يَكْمَلْ نَعْسَانُ، لِأَنَّ صَوْتَ الْحَمَارِ كَانَ
يَشُقُّ الْمَدَى، سَدَّ نَعْسَانَ أُذُنَيْهِ حَتَّى كَفَّ الْحَمَارُ
عَنِ الصِّيَاحِ وَقَالَ:

- أَعُوذُ بِاللَّهِ.. إِنَّ صَوْتُكَ هُوَ أَنْكَرُ الْأَصْوَاتِ..
جَاءَ مَوْعِدُ الْعُودَةِ، وَجَاءَ دَوْرُكَ لِتَكُنْ يَقْظًا، وَجَاءَ
دَوْرِي كِيْ أَنْامَ.

- ٤ -

شَهْرُ رَمَضَانَ فِي الْقَرْيَةِ لَهُ طَعْمٌ خَاصٌ..
وَكَانَ عَمَّ حَافِظُ الْمَسْحَرَاتِي يَنْقُرُ عَلَى طَبْلَتِهِ
فِي لَيَالِي رَمَضَانَ وَيُرَدِّدُ:



- اصْحَ يَا نَعْسَانَ وَحَدِّ الدِّيَانَ.

سَمِعَ نَعْسَانَ صَوْتَ الطَّبْلَةِ، فَاسْتَيْقَظَ سَرِيعًا،
فَلَابَدَ أَنْ يَتَسَحَّرَ كَيْ يَقْدِرَ عَلَى الْعَمَلِ وَهُوَ
صَائِمٌ، فَعِنْدَهُ أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ عِنْدَمَا تَشْرُقُ الشَّمْسُ.
فَتَحَ نَعْسَانَ بَابَ الدَّارِ، وَصَافَحَ عَمَّ حَافِظَ
الْمَسْحَرَاتِي، وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ وَقَالَ لَهُ:

- أَرَأَيْتَ يَا عَمَّ حَافِظَ.. أَنْتَ تُوَقِّظُ النَّعْسَانَ
وَالْكُلَّ الْآنَ نَعْسَانٌ.. إِلَّا أَنَا.. لَقَدْ اسْتَيْقَظْتُ مِنْ
أَوَّلِ جَوْلَةٍ لَكَ فِي شَوَارِعِ الْقَرْيَةِ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ عَمِلَ نَعْسَانُ كَثِيرًا فِي
الْحَقْلِ وَعَادَ مُتَعَبًا فَاسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ، وَعِنْدَمَا مَرَّ
عَمَّ حَافِظَ الْمَسْحَرَاتِي بِطَبْلَتِهِ بِاللَّيْلِ لَمْ يَسْتَيْقَظْ،
وَضَلَّ نَائِمًا رَغْمَ أَنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ جَمِيعَهُمْ اسْتَيْقَظُوا،
أَطَالَ عَمَّ حَافِظُ الْوُقُوفَ أَمَامَ دَارِ نَعْسَانَ وَضَلَّ
بِرَدِّدٍ:

- اصْحَ يَا نَعْسَانَ.. وَحَدِّ الدِّيَانَ.

كَانَ نَعْسَانٌ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ الطَّبْلَةِ، لَكِنَّهُ كَانَ
مُتَعَبًا، وَقَرَّرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَنَامَ اللَّيْلَةَ دُونَ
سُحُورٍ.

- اصْحَ يَا نَعْسَانُ وَحْدِ الدِّيَّانِ.

لَمْ يَصْحَ نَعْسَانٌ بَلْ قَالَ فِي نَفْسِهِ:

- دَعُهُ يَضْرِبُ الطَّبْلَةَ حَتَّى الصَّبَاحِ.

وَهَذَا اغْتَاظَ الْحَمَارُ كَثِيرًا بِسَبَبِ كَسَلِ نَعْسَانَ
فَأَصْدَرَ نَهِيْقًا عَالِيًا مُتَوَاصِلًا.. هَبَّ نَعْسَانٌ مِنْ
نَوْمِهِ مَذْعُورًا وَضَرَبَ الْحَمَارَ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ:

- اسْتُرْ يَا سَتَّارُ.. لَقَدْ صَحَوْتُ.

وَاقْتَرَبَ نَعْسَانٌ مِنَ الْحَمَارِ وَقَالَ لَهُ:

- أَعُوْذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ..

- مَا أَبْشَعَ صَوْتُكَ وَمَا أَرْقَّ صَوْتُ الطَّبْلَةِ.

وَهَذَا تَذَكَّرَ نَعْسَانُ الْعَمَّ حَافِظًا فَأَسْرَعَ يَشْكُرُهُ
عَلَى طَوْلِ بَقَائِهِ أَمَامَ الْبَابِ.



اشتدَّ غيظُ الحمار، وعزَّ عليه أنْ يضربه نَعْسَان
دون سَبَب، أما يكفي أنَّه يشتمه بقوله:

- يا حمار.

ومضى الحمارُ يقولُ في نفسه:

- أنا رفيقُ كفاحه.. وحاملُ متاعه.. وسمادُ
أرضه.. وحصادُ زرعِه..

طيب.. سترى.. سأنتظر يوماً تتعبُ فيه تعباً
شديداً، وحتماً ستنامُ فوقَ ظهري عندَ العودةِ إلى
الدار، وعندما أبلغُ جسرَ قريتنا، لنْ أعبُرَ فوقه
لدخولِ القرية، ولكني سأواصلُ السَّير نحوَ
المدينة، لستُ أقلُّ منَ الحمير التي تذهبُ
للمدينة، إنها تعودُ سعيدةً فرحةً، تحكي عن أشياءَ
وأشياءَ، ثمَّ إنها فرصةٌ لهذا النعسان لزيارةِ
المدينة، هل سيظل هكذا طولَ عمره مزروعاً
منقوعاً في الأرض.

وجاء فعلاً يومٌ تعب فيه نَعْسَانٌ تعباً شديداً،
لأنَّه قامَ بتنظيفِ القنواتِ الصَّغيرةِ بالفأسِ،
وقامَ بحفرِ بعضِ المناطقِ التي تعوقُ المياهَ في
المناطقِ المرتفعةِ مِنَ الأرضِ، ثم غمرَ الأرضَ
بالماءِ.. وكانَ الحمارُ يفكرُ:

- يا ترى ما شكل هذه المدينة، وماذا فيها
غيرُ العرباتِ المسرعةِ والعماراتِ العاليةِ؟ وزحامِ
النَّاسِ الكثيرينِ جداً.. كل هذا سوفَ أراه اليومَ.
وحانَ وقتُ العودَةِ، اعتلى نَعْسَانُ الحمارَ،
وما أنْ اطمأنَّ أنَّه تحرَّكَ خطوةً حتى أغمضَ عَيْنَيْهِ
تاركاً الزمامَ للحمارِ، وفرحَ الحمارُ وقالَ لنفسِه:

- والآنَ جاءَ وقتُ الانتقامِ وأدركَ الحمارُ جسرَ
القريةِ، فلمْ يعبرْ عليه كالعادةِ وواصلَ طريقَه
نحوَ المدينةِ، وبعدَ الجسرِ أحسَّ نَعْسَانُ بالهواءِ
يلفحُ وجهَه، فعرفَ أنَّه دخلَ في طريقِ تظليلهِ
الأشجارِ على الجانبينِ، وهذا يعنى أنَّه ابتعدَ عن
قريةِ، وأنَّه في طريقه إلى المدينةِ، فتحَ نَعْسَانُ
عَيْنَيْهِ وفرَّكهما وقالَ:

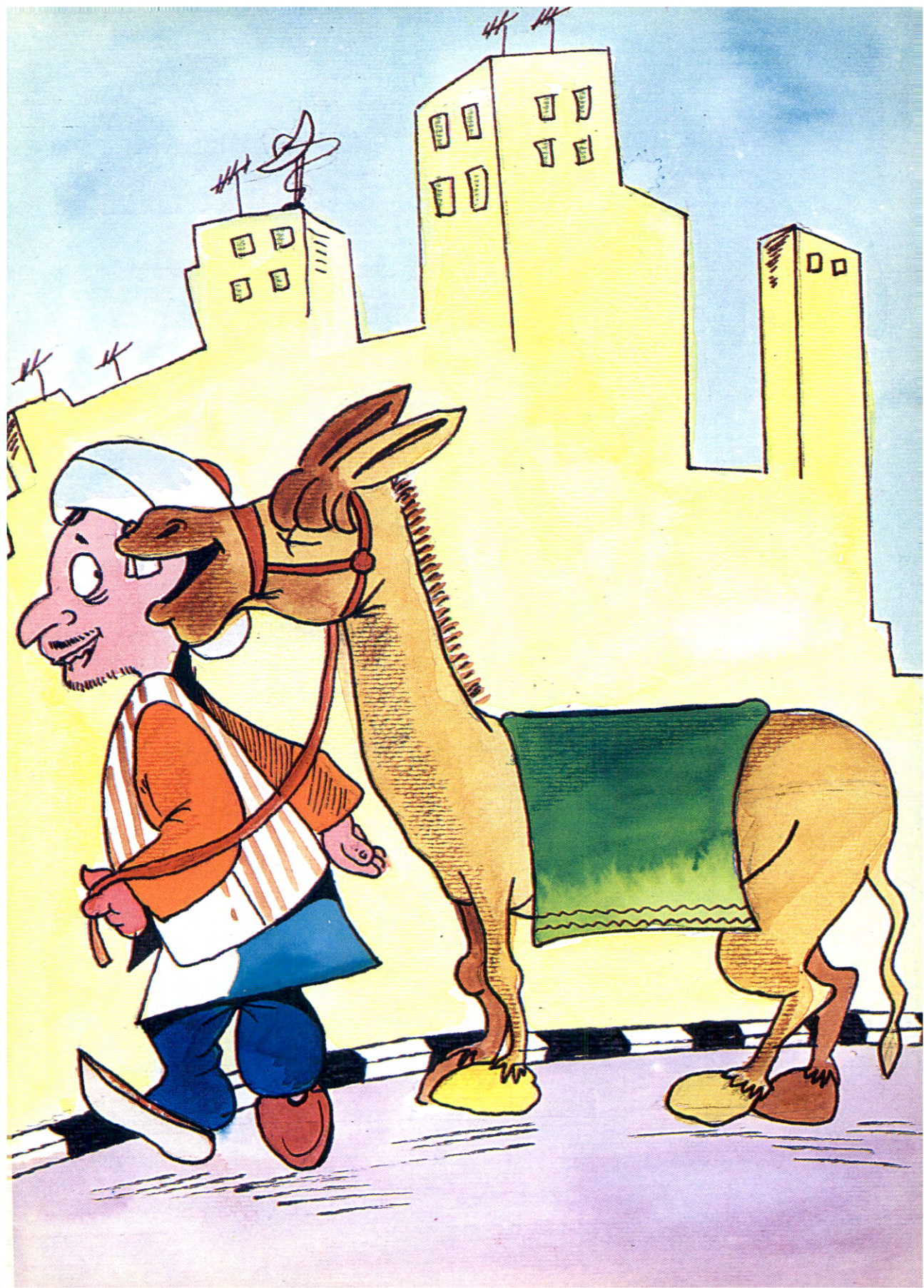


أَهْكَذَا أَيُّهَا اللَّئِيمُ؟! أَتُظَنُّنِي نَعَسْتُ إِلَى دَرَجَةٍ
تَفْقَدُنِي الْإِحْسَاسَ بِقَرِيَّتِي، إِنِّي أَغْلَقْتُ عَيْنِي،
وَلَكِنِّي أَشْعُرُ بِالطَّرِيقِ إِلَى الْقَرْيَةِ حَتَّى وَأَنَا نَائِمٌ..
خُذْ خُذْ.. وَانْهَالْ عَلَيْهِ ضَرْبًا وَأَعَادِهِ صَاغِرًا إِلَى
الدَّارِ.

- ٦ -

يَوْمٌ رَائِعٌ وَجَمِيلٌ، نَعْسَانٌ ذَاهِبٌ لِلْمَدِينَةِ، كَانَ
يَنْتَظِرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، لَيْسَ لَأَنَّهَا رَغْبَةُ الْحَمَارِ، وَلَكِنْ
كَى يَشْتَرِي مَلَابِسَ جَدِيدَةً لِلأَوْلَادِ، وَحَقِيقَةً
مَدْرَسِيَّةً لِابْنِهِ الْأَكْبَرِ «دِيَاب» الَّذِي يَنْجَحُ كُلَّ عَامٍ
بِتَفَوُّقٍ، وَسِيرَى الْمَدِينَةِ الَّتِي لَمْ يَرَهَا مِنْذُ زَمَنٍ
بَعِيدٍ، آخِرَ مَرَّةٍ رَأَاهَا، لَمْ يَجِدِ السَّاقِيَةَ الَّتِي فِي
مَذْخَلِهَا، زَحَفَتِ الْبُيُوتُ وَالتَّهَمَّتِ السَّاقِيَةُ، تَمْتَمُ:

- «سَتَرَكَ يَا رَبَّ».. هَلْ تَغَيَّرَتِ الْمَدِينَةُ عَمَّا
كَانَتْ فِي آخِرِ مَرَّةٍ شَاهَدْتُهَا، وَكَمْ سَاقِيَةً
ابْتَلَعَتْهَا الْعِمَارَاتُ الْعَالِيَةُ، هَاهُوَ ذَاهِبٌ إِلَيْهَا،
وَهَاهُوَ فَوْقَ ظَهْرِ الْحَمَارِ.



يَصِيحُ بَعْزَمَ:

- حَا.. حَا يَا حَمَار.

والحمارُ فى غايةِ النَّشَاطِ، يسرِعُ الخُطى،
تَدَبَّدَبُ حَوَافِرُهُ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَسْمَنْتِي وَتَخْتَالُ، وَلَا
يَتَصَاعَدُ خَلْفَهُ التَّرَابُ كَالْعَادَةِ.. يَا لَهُ مِنْ طَرِيقٍ
عَمَلًاق.. إِنَّهُ ذِرَاعُ الْمَدِينَةِ الطَّوِيلِ.. تَرَى كَمْ
ذِرَاعًا لِلْمَدِينَةِ.. وَالدُّنْيَا حُلُوةٌ جَمِيلَةٌ.. وَمَا زَالَ
الْحَمَارُ يَسْرِعُ الْخُطَى.

- حَا يَا حَمَار.

وَقَالَ الْحَمَارُ لِنَفْسِهِ: هَذِهِ الْمَرَّةُ سَوْفَ
أَسَامُحُكَ.. وَلَنْ أَعْتَبِرَهَا إِهَانَةً.. لِأَنَّ هَذَا اسْمِي..
وَالْمُهْمُّ أَنَّ أَرَى الْمَدِينَةَ.. وَالْمَبَانِي الْعَالِيَةَ،
وَالْعَرَبَاتِ الْمُسْرِعَةَ، وَالْوَاجِهَاتِ الزَّجَاجِيَّةَ،
وَالْأَغَانِي الَّتِي تَتْبَعُثُ مِنْ هُنَا وَهَنَاكَ، كَأَنَّ
الدُّنْيَا.. كُلَّ الدُّنْيَا تَغْنَى فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ.

- حَا حَا يَا حَمَار.

وَتَذَكَّرُ الْحَمَارُ شَيْئًا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَمُرَّ مَرُورَ
الْكَرَامِ، مَا لَهُ نَعْسَانُ؟، وَمَا كُلُّ هَذَا النَّشَاطِ؟!،

نَعْسَانُ لَا يَكْفُ عَنْ الْكَلَامِ وَالتَّرْدِيدِ: حَا..
نَعْسَانُ النَّائِمُ دَوْمًا فَوْقَ ظَهْرِي؟!!

والتفتَ الحمارُ إلى الوراء فرأى نَعْسَانَ وعَيْنَاهُ
مفتُوحَتَانِ وَاسِعَتَانِ بِلِ وَتَبْرَقَانِ.. مَا الَّذِي حَدَثَ؟
ابتسم نَعْسَانُ - هُوَ يَفْهَمُ حِمَارَهُ جَيِّدًا - وَقَالَ:

- يَا حِمَارُ.. فِي الْقَرْيَةِ.. فِي «سَامُول»..
أَغْمَضُ عَيْنِي لِأَنِّي أَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ فِيهَا - حَدُودَهَا
وَحَقُولَهَا وَنَاسَهَا وَأَشْجَارَهَا.. وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَمْضِيَ
فِيهَا وَأَنَا نَائِمٌ.. أَمَانُ يَا حِمَارُ.. أَمَّا فِي الْمَدِينَةِ
فَيَجِبُ أَنْ أَفْتَحَ عَيْنِي جَيِّدًا حَتَّى أَتَبِينَ الطَّرِيقَ
جَيِّدًا، وَأَتَقَى خِدَاعَ الْخَادِعِينَ فَأَنَا الْآنَ «يَقْظَانُ»
أَيُّهَا الْحِمَارُ الْجَمِيلُ حَتَّى أَعُودَ لِقَرْيَتِي الْجَمِيلَةِ.

وَفِي زَحَامِ الْمَدِينَةِ، لَا بَدَّ أَنْ يَسِيرَ الْإِنْسَانُ
وَهُوَ فِي مُنْتَهَى الْيَقْظَةِ وَالْحَرُصِ.

رقم الإيداع	٢٠٠٢/٧٤٧٧
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-6296-X

٧/٢٠٠١/١٢٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)